المحاضرة الثالثة: اللغة، الأنظمة اللغوية، علم الأصوات

المجتمع واللغة:

أكثر ما يساعد الباحثين والأنثروبولوجيين على فهم طبيعة اللغة وجوهرها هو: "أن ننظر إلى الدور الذي تقوم به في حياة الفرد وفي حياة الجماعة، التي يؤلف بين أفرادها الحديث بلغة مشتركة وفي حياة النوع الإنساني عامة"[17]. انطلاقا من هذا، يتضح أن نصل الإنسان ليس بمعزل عن العالم المحيط به، بل هو جزء منه. فحين نتحدث عن تلك العلاقة القائمة بين اللغة باعتبارها أداة تواصل والمجتمع، باعتباره محيط وبيئة خذا التواصل، وما تؤديه اللغة من وظائف في المجتمع كونها الرابط الأساسي للأفراد منتجي هذا التواصل، لخلق حلقة من التواصل، نعرف مدى أهمية اللغة ووظيفتها وحمولتها الفكرية والثقافية في الوعي واللاوعي الإنساني.

وبما أن المجتمع هو تلك المجموعة من الناس تميزهم (تجمعهم) ثقافة مشتركة، ولهم كيان ذاتي ويتواصلون من أجل أغراضهم، والحفاظ على مصالحهم وعلاقاتهم (نظام الحكم، نظام الأسرة، الطقوس والممارسات، القيم ...) وبما أن اللغة هي الأداة (الكلمات والمفردات) المعبرة عن عملية التواصل تلك في جميع مظاهر الحياة، فهذا المجتمع يمكن أن يظهر فيه تواصل لغوي يعبر عنه في عدة لغات ويوصف بالمجتمع المتعدد اللغات. فالتعدد اللغوي رغم أنه يقوي الروابط بين أعضاء هذا المجتمع، إلا أنه يبقى رمزا لاختلاف الأفراد والجماعات داخل هذا الكل المنسجم ظاهريا، المختلف داخليا والمتصارع أحيانا كهويات وكانتماءات عرقية أو طائفية أو حتى طبقية أحيانا. ذلك أن اللغة قد تتخذ أشكالا عدة ضمن النسق اللهجي لتصبح عنوانا ورمزا معبرا عن كيانات صغيرة أحيانا، لا تتعدى منطقة صغيرة، قبيلة أو مجموعة عشائر أو حتى فئات أو شرائح اجتماعية. فاللغة كغيرها تعتبر من المنتجات العقل الجمعي لذلك تخضع لكل التغيرات داخل مجتمعاتها، ومهما تعددت أنماط الحياة في المجتمع الجزائري (زمانيا

[17] حركة أمل، دراسات في علم الاجتماع الأدب، مرجع سبق ذكره، ص 106.

ومكانيا) إلا أن استعمالها يتواصل رغم التأثيرات الجانبية التي تخضع لهال هذه اللغة أو تلك، خضوعها لمستعملها نفسه كإنسان. لهذا فاللغة كائن حي . لأنها تستعمل من طرف كائن حي عاقل الذي هو الإنسان. ولهذا فهي معرضة للموت وللتطور وللتقهقر والضعف بتعرض مستعملي هذه اللغة من الأفراد والمجموعات البشرية.

3.2.1 الهوية اللغوية الشعبية:

التنوع اللغوي داخل مجتمعنا الجزائري، موجود وواضح وهذا راجع إلى تلك الخصوصية وإلى ذلك التنوع داخل المجتمع المفتوح على تقبل هذا التنوع والاعتراف بكل الخصوصيات داخله. لذلك نجد أن الثقافة الجماعية تختلف عن باقي الجماعات الثقافية الأخرى، وهذا بفعل تراكم الإنتاج الإنساني والذاكرة الحافظة عبر الأجيال.

- **اللغة**: اللغة كما يصفها الباحث بومديني بلقاسم: "هي وسيلة الاتصال داخل الجماعات البشرية، وهي ذات صلة بخصوصية الإنسان في التفكير خلاقا للحيوان (...) ويرتبط استعمال اللغة ارتباطا وثيقا بما يمتاز به الإنسان من قدرة على التفكير، إذ يختلف الإنسان في تفاهمه مع غيره أكثر من اختلافه عن الحيوانات الأخرى في التعلم والتفكير"[18].

- **اللهجة**: غالبا لا ينفرد مجتمع بلغة واحدة، أي أنه لا يمكن لمجتمع ما أن يحيى في ظل انغلاق (أحادي) لغوي، لذلك يلجأ أبناء اللغة إلى إنتاج لغة منها تكون لغة الحياة اليومية لتسهيل التعاملات ولإسقاط ضغط القواعد والأنظمة اللغوية. فأي مجتمع يمكن نعته بمجتمع ثنائي اللغة (لغة فصحى ولغة عامية – لهجة–).

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبنية اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات"[19]. كما أن

[18] بومديني بلقاسم، المجتمع الجزائري بين الهوية اللغوية الرسمية والهوية اللغوية الشعبية، مرجع سبق ذكره، 2003، ص ص 20-21.

[19] مادن سهام، الفصحى والعامية وعلاقتهما في استعمالات الناطقين الجزائريين، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011، ص 35.

"اللهجة هي تنوع للعامية تخضع للعوامل الجغرافية"[20]، إذ نجد دوبوا(j. Desbois) يعرفها أيضا على أنها: " شكلا من أشكال اللغة، لها نظام خاص على المستوى الإفرادي والتركيبي والصوتي، وتستعمل في محيط ضيق بالمقارنة مع اللغة نفسها"[21]. كما يعرفها عبد المالك مرتاض على أن: "اللهجة: بفتح الهاء وسكونها معا، ولكن السكون أفصح وأعلى عبارة عن المادة النطقية التي تكيف مقاطع صوت امرئ ما، – وهذه العادة النطقية – إن صح مثل هذا الإطلاق، تنشأ عند المرء تحت تأثير العوامل البيئوية والفيزيولوجية والوراثية"[22]. ولقد تشعبت العامية الجزائرية بعدة لهجات، والتي تمثل الهيكل اللغوي العام للمجتمع الجزائري بكل أطيافه، ويرجح العديد من الباحثين كثرة اللهجات وتعددها في المجتمعات الحالية غالبا إلى التوسع الجغرافي وتنوع التضاريس واختلاف الأقاليم، وبالتالي تباعد اللهجات ومفرداتها ومدلولاتها، كل هذا يخلق التمايز والتباعد والخصوصية اللهجية.

[20] مادن سهام، نفس المرجع، ص33.

[21] J. Dubois, dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1973, p149.

[22] مرتاض عبد المالك ، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 07.